عبادة الله والنِعمة

اللهُ الثالوثُ الأقدَس يُخاطبُ الإنسان في كيانه الثالوثيِّ، أي الروح والنفس والجسد. إذ أنَّ الله المحبَّة يُقوِّمُ مسار الروح ويغفر خطايا النفس ويشفي أمراض الجسد، ويُصحِّحُ المفاهيم الخاطئة.

أحبَّائي، **عاد يسوع إلى كفرناحوم** بعد أن بشَّر في قرى الجليل وأبرأ الأبرص، **ليكشِفَ معنى رسالة الآب السماويِّ الَّذي أرسلَه ليُعلِن بقوَّة الروح القُدُس انتهاء زمن عبوديَّة** الخطيئة والشرِّ **والموت وانطلاق زمن التحرُّر** والخلاص والسلام المسيحيّ. إثر عودته إلى بيت سمعان بطرس، **علِمَ الناسُ به، فأتَوا** من كلِّ حدبٍ وصوب **يَسمعون كلمة الآب الَّتي ينطقُ بها يسوع وهو مُتهلِّلٌ بالروح القُدُس والحُبِّ الإلهيّ**. وبينما كان يسوع ابن الله الحيّ يُخاطبُ الجموع المُحتَشِدة داخل البيت وخارجه، "**أتَوه بمُخلَّعٍ يحملُه أربعةُ رجال**... فكشفوا السقفَ فوق يسوع، ونبشُوه، ودَلَّوا الفراشَ الَّذي كان المُخلَّع مَطروحًا عليه" (مر2: 3–4). فلَمَّا **رأى يسوعُ إيمان الرجال الأربعة ونَخوتَهم وإصرارهم**، وهم بالطبع يُمثِّلون إيمان المُخلَّع الَّذي اندفَع بنفسه المُتشوِّقة والحُبِّ الَّذي ينمو في قلبه لرؤية يسوع وطلب شفاء نفسه وجسده منه، **قال للمُخلَّع: "يا ابني، مغفورةٌ لكَ خطاياك!"** (مر2: 5). **هذه الآية الملأى بالحُبِّ الإلهيِّ** الَّتي نطق بها يسوع، وهي **مؤلَّفة من جزأين، "يا ابني" و"مغفورةٌ لكَ خطاياك"**، كانت سببًا لبدء سلسلةٍ من الجدالات بين يسوع والَّذين خاصموه من الكتبة والفرِّيسيِّين المُتعنِّتين. وفي هذه الجدالات، أظهَر يسوع عن معنى **رسالة الآب** السماويِّ الَّذي **يعتبرُ كلَّ نفسٍ بشريَّة ابنةً له**، لذلك قال يسوع باسم الآب السماويِّ للمُخلَّع "يا ابني"، والَّذي (الآب) **يمنحُ بكلمتِه يسوع المسيح وبقوَّة روحِه القدُّوس أبناءه التائبين مغفرة الخطايا**، لذلك قال يسوع باسم الثالوث الأقدَس للمُخلَّع "مغفورةٌ لكَ خطاياك".

أحبَّائي، من ناحيةٍ أولى، **جاء الرَبُّ يسوع المسيح من لدُنِ الآبِ السماويِّ ناطقًا بالروح القُدُس ليَغفرَ خطايا الناس التائبين** على الأرض ويشفي نفوسهم وأجسادَهم ويُبلسم جراحهم بحُبِّه الإلهيِّ. لقد جاء من أجلهم كما قال: "**لا يحتاجُ الأصحَّاءُ إلى طبيب**، بل الَّذين بهم سوء. ما جئتُ لأدعُوَ الأبرار **بل الخطأة**" (مر2: 17). **وهو جاء باسم الثالوث الأقدَس ليُتمِّم هذه الرسالة الخلاصيَّة والسلاميَّة المُفرِحة في كلِّ الأوقات والظروف والأمكنة**، لذلك كان يشفي حتَّى في أيَّام السبت، لأنَّه كما قال: "السبتُ جُعِلَ للإنسان، لا الإنسانُ للسبت. إذًا **فابنُ الإنسان هو رَبُّ السبتِ** " (مر2: 27–28). ومن ناحيةٍ ثانية، **إنَّ الكتبة حين حكموا بأفكارهم أنَّ يسوع يُجدِّف، قد أخطأوا** بسبب عمائهم **وخطِئوا** جدًّا بسبب كبريائهم وحقدهم، **أمَّا تفكيرهم عن أنَّ الله وحدَه يغفر الخطايا فهو حقٌّ** لا جدل فيه. **فأين تقع إذًا المُشكلة؟** تقع المُشكلة في فقدان المحبَّة لدى الكتبة والفرِّسيِّين، وعدم فَهْمِهم في قلوبهم حقيقة النبوءات، لتعلُّقهم بالحرف، فلو كانوا يقرأون الكتُب المُقدَّسة بالروح القُدُس لكانوا فهموا النبوءات وعلِموا أنَّ يسوع هو المسيح الآتي لخلاصهم. من ناحيةٍ ثالثة، **جاء يسوع الأُقنوم الثاني من الثالوث الأقدَس باسم الآب وبقوَّة الروح القُدُس، ليُصحِّح المَفاهيم الناقصة والخاطئة** الَّتي زرعها الكتبة والفرِّيسيُّون في نفوس المؤمنين. فمبادرة يسوع في منح الغفران عن الخطايا للمُخلَّع قبل منحه شفاء جسده، تعود بنا إلى مفهوم اليهود بأنَّ المرض

يرتبط بالخطيئة، إن كانت خطيئة المريض نفسه أو خطيئة أهله. لذلك، كان من الواضح جدًّا أنَّ هذا المُخلَّع هو بحاجةٍ مُسبقة لمغفرة خطاياه، وأنَّ يسوع ربط معجزة شفائه بمغفرة خطاياه أوَّلاً. وكلُّنا يعلَم أنَّ غفران الخطايا يأتي بعد الندامة والإقرار بها إيمانًا بيسوع المسيح المُخلِّص. وهكذا، نكتشف أنَّ إيمان وتوبة المُخلَّع كانا ضمنيًّا بينما ما يخصُّ الرجال الأربعة فكانا علنيًّا. ولكن لنعود إلى **مُعضلة ربط المرض بالخطيئة عند اليهود**، ففي نصِّ المُخلَّع **يتَّضح لنا أنَّ يسوع ربط المرض بالخطيئة** لأنَّه منح المغفرة أوَّلاً ثمَّ أتبعَها بشفاء الجسد. **وهذا ما جرى أيضًا في شفاء مُقعَد بركة الغنم** في أورشليم الَّذي عان ثمانية وثلاثين سنة بسبب خطيئته. فبعد شفائه، رآه يسوع من جديدٍ في هيكل أورشليم، **فقال له يسوع:** "ها أنتَ قد شُفيتَ، فلا تَعُدْ إلى الخطيئة لِئَلاَّ يُصيبَكَ ما هو أسوأ" (يو5: 14). أمَّا في حالة **المَولود أعمى**، فقد **أجاب يسوع تلاميذَه** قائلاً: "لا هذا خطِئَ، ولا وَالِدَاه، ولكن لتَظهَرَ فيه أعمالُ الله" (يو9: 3). وهكذا، أتى يسوع وكمَّل المفهوم اليهوديَّ عن ربط المرض بالخطيئة، و**نستنتج أنَّ الخطيئة قد تُسبِّب المرض في بعض الحالات، وفي بعضها الآخَر لا**، لأنَّ للطبيعة المخلوقة تُسبِّبُ الأمراض. فهذان المُخلَّعان مرضا بسبب خطاياهما، أمَّا المولودُ أعمى فقد وُلِدَ أعمى بالطبيعة ليَظهر فيه مجدُ الله.

أحبَّائي، **هذه هي رسالة ابن الإنسان**، يسوع المسيح ابن الله الوحيد، الَّذي تكلَّم عنه دانيَّال (7: 13) وغيره من الأنبياء والرَبُّ يسوع بذاته، قائلين به أنَّه **سيأتي على سحاب السماء في اليوم الأخير ليدين الأحياء والأموات، الخطأة والضَالِّين، ويُخلِّص الأبرار والتائبين، وذلك باسم الآب وبقوَّة الروح القُدُس. والجماعة المسيحيَّة الأولى** تكشف لنا عن هذا اللقب ليسوع **وتؤكِّدُ أنَّه سيسبقُ الدينونة بسُلطانه السماويِّ وبحُبِّه الإلهيِّ ليُخلِّص الخطأة التائبين والأبرار ويُعلِنَ بدء الزمنِ المشيحيِّ**، أي زمن الحُبِّ الطاهر والسلام الحقيقيَّ بعد درب الجلجلة والآلام الخلاصيَّة. **فلقبُ ابن الإنسان الَّذي حمله يسوع يُوحِّدُ توحيدًا فريدًا بين ذبيحة الصليب ومجد القيامة**. وفي هذا النَصِّ الإنجيليِّ عن المُخلَّع، **يظهَرُ عمل ابن الإنسان مُتمِّمًا لرسالة الآبِ وفعل الرُوح القُدُس في تحقيق خلاص الكيان البشريِّ بكامله**. والمقصود بذلك أنَّ يسوع قد توجَّه إلى الإنسان ككائنٍ، **روحًا ونفسًا وجسدًا**، ليُخلِّصه من انجذابه إلى المادَّة وليغفر له خطاياه وليشفيه من أمراضه ويُحرِّرَه من تسلُّط الأرواح الدَنسة والنجسة الشرِّيرة. **لقد حمل المسيح باسم الله المحبَّة، الثالوث الأقدَس، كلمة الخلاص للإنسان** وأعاد له كرامته وقيمته وصورته الأولى الَّتي خلعها آدم بخطيئته. **هذه الحقيقة الخلاصيَّة** الَّتي حقَّقها يسوع **جلَبَت علينا السلام أمَّا على يسوع جلَبَتْ سُخط الكتبة والفرِّيسيِّين** الَّذين يتعبرون أنفسهم مُدافعين عن الله والكتُب المُقدَّسة. **ولكن كلَّ المُحتَشدين** الَّذين شهِدَوا مغفرة الخطايا ورأوا شفاء المُخلَّع، **أقرَّوا بسلطان ابن الإنسان يسوع المسيح في مغفرة الخطايا (مت18: 18)**، "**ومجَّدوا الله قائلين:** ما رأينا مثل هذا البتَّة" (مر2: 12).

أحبَّائي، **علينا في هذا الزمن كمسيحيِّين أن نعمل كي تستقيم نوايانا وقلوبنا** لنسير في إيماننا المسيحيِّ باستقامة ونترُكَ الخطيئة تائبين، فنُشفى من أمراضنا النفسيَّة والجسديَّة بكلمةٍ من الرَبِّ يسوع الَّذي يقول لنا: "**مغفورةٌ لكم خطاياكم، قوموا من تخلُّعكم ومن هذه المأساة الَّتي تعيشونها**". لذا، **لنعُد**

إلى سلام المسيح وإلى حُبِّ الله وإلى فرح السماء، لأنَّ السماء تفرح بالتائب ليلاً نهارًا ودون توقُّف. ويحصل التائب كذلك على هذه النعمة، ويفرح الفرحة الكبيرة أيضًا بالرَبِّ يسوع المسيح الَّذي غفر له خطاياه وشفاه من جراحاته النفسيَّة ومن أمراضه الجسديَّة، بكلمةٍ منه وبنظرة إلى الآب السماويِّ وبقوَّة الرُوح القُدُس.

هذا الاتِّحاد بالحُبِّ الإلهيِّ بعد التوبة، يدعونا لنُصلِّي هذه الصلاة: "أنا قلتُ: يا ربُّ ارحمني، اشفِ نفسي فإنِّي قد خطئتُ إليكَ" (مز41: 4)، "اغسلني كثيرًا من إثمي، ومن خطيئتي طهِّرني... انضحني بالزوفى فأطهُر، اغسلني فأبيَضُّ أكثر من الثلج... قلبًا نقيًّا أُخْلُق فِيَّ يا الله، وروحًا مُستقيمًا جَدِّد في أحشائي" (مز51: 2، 7، 10). وبشفاعة مريم العذراء سيِّدة المعونات، امنحنا أيُّها الثالوث الأقدَس شفاء نفوسنا وأجسادنا، فنتَّحِدَ بحُبِّكَ الإلهيِّ ونرفع لكَ المجد إلى الأبد. آمين.